ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

The Virtue and Social Status of Women "A Reading in the History of Ancient Social Thought"

Dr.Zainab Muhammad Salih
University of Baghdad
College of Education for Girls

Prof. Youssef Inad Zamel
College of Law / University of Wasit

Email:

Keywords:

Women, role, social status, maternal role

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

A B S T R A C T

Many literatures have taken upon themselves topics that deal with the issue of women in various aspects of life, but the scrutinizer in history, especially in the history of sociology and anthropology theories, but when researching the role of women and their position in social history we need an expanded look at the legacies of peoples, the most important of which are: myths on myths The ideals that women were instigated by, or political, social, or social norms, and even participated in, have reached some trips from the leadership and king positions and sat on some of the messages that were working in the activities and plans of activity in society, and its old axis. As for the oppression of women, it was not in cases where the two queens were not in the picture, they proved their presence in Arab history and we still witness to them with pride and pride that “Queen Balqis, Queen of Sheba, and Queen Zenobia, Queen of Palmyra. Keywords: Women, role and social status.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3033

دور ومكانة المرأة في التاريخ القديم وعصر ما قبل الاسلام
" قراءة في تأريخ الفكر الاجتماعي "

أ.م.د. زينب محمد صالح
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

أ.د. يوسف عناد زامل
كلية القانون / جامعة واسط

المستخلص :

أخذت كثير من الأدبيات على عاتقها مواضيع تعالج قضية المرأة بمختلف جوانب الحياة إلا أنّ المدقق في التاريخ ، لا سيما في تأريخ نظريات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا المعاصرة ، فعند البحث في دور المرأة ومكانتها في التاريخ الاجتماعي نحتاج فيه إلى نظرة موسعة في موروثات الشعوب الثقافية ومن أهمها: التأكيد على الأساطير المثلى المستمدة من عوامل الثقافة والزمن والبيئة التي أفرزتها الأساطير عبر التاريخ التي تعكس واقع الشعوب ونفسيّة الإنسان فيها وآماله ، وبما أنّها كذلك فإنّه يمكننا استقراء ذلك الموقع المتميز الذي اضطلعت به المرأة في بداية تاريخ البشرية ، فلقد عكس لنا التاريخ تصوراً عن الدور والمكانة التي حضت بها المرأة سواء على المستويات السياسية أو الاجتماعية ، بل وابعد من ذلك ، فقد وصلت المرأة ما وصلت إليه من مراكز القيادة والملك وتربعت على عرش بعض الدول لفترة طويلة وكانت هي العنصر الأكثر فعالية في المجتمع القديم ، بل ومحور نشاطه . أمّا اضطهاد المرأة لم يكن سائداً في المجتمعات العربية وهذا ما نلاحظه في صورة الملكتين اللتين أثبتتا وجودهما في التاريخ العربي ولازلنا لحد ألآن نشهد لهما بكل فخر واعتزاز أنهما " الملكة بلقيس ملكة سبأ، والملكة زنوبيا ملكة تدمر " .

الكلمات المفتاحية: المرأة ، الدور، المكانة الاجتماعية ، الدور الأمومي.

المقدمة :

لا يمكن إنكار أهمية المرأة في المجتمعات البشرية أياً كانت وأينما تواجدت ليس كنصف المجتمع ، بل شريك حقيقي مساهم في بناء وإغناء التجربة الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . كما أنّ وجود المرأة يشكل تحدياً تاريخيا نمى وتطور في ظل التجربة الإنسانية وظهور الدولة والصناعة وانتشار الثقافة ، وقد حمل هذا التحدي صور متناقضة بالغة المعاني لابدّ من الإشارة إلى بعض منها، فقد تراوحت هذه الصور بين تقديس المرأة وعلو مكانتها ومكونات ثقافتها الاجتماعية والتاريخية وبين صورتها كسبية تُباع وتشترى في أسواق النخاسة، وبّين سطوتها كملكة وكقائدة للمجتمع .

وهنا لابد ان نبين الكلمات الافتتاحية لموضوع بحثنا وهي : المرأة هي الشق الثاني من الإنسان المعمّر لهذه الأرض ولفظة "المرأة " في اللغة العربية مشتقة من فعل "مرا" وتعني:" كمال الرجولية"، أو "الإنسانية" ، ومن هنا كان " المرء" هو الإنسان و"المرأة" هي مؤنث الإنسان (الساعاتي ، ٢٠٠٦، ص ١٣٣). اما الدور والمكانة الاجتماعية : هو السلوك المتوقع من شاغل أو لاعب المركز الاجتماعي وأنّ هذا المركز هو العلامة والإشارة التي تحدد (طبيعة الدور الاجتماعي) بين الدور الاجتماعي والمكانة الاجتماعي (النورجي ، ١٩٩٠، ص ٢٧٧). فالحقوق هي الامتيازات التي تعطي لممارسي الدور بعد إن يقوم بالواجبات التي يتوقع منه القيام بها، أمّا الواجبات فهي النشاطات التي يجب أنّ يؤديها ممارسو الدور (Danca,1973,P148).

بعد هذه المقدمة ، نود القول ان بحثنا سيتناول دور ومكانة المرأة الاجتماعية في التأريخ القديم ، من أجل إعطاء صورة ذهنية عن واقع ومكانة المرأة التي تمكننا من نقلها للقارئ والباحث المختص في التأريخ الاجتماعي ، وهذا ما سنوضحه في محاور البحث وهي كالآتي :

اولا / العائلة والنظام الأمومي " قراءة اجتماعية لدور ومكانة المرأة ":

نلاحظ أنّ اغلب التماثيل الشرقية والنصوص المكتوبة على جدران المعابد على الألواح الطينية، هي خير شاهد على واقع المرأة كآلهة ، فلا تكاد تخلو حضارة الإلهة المؤنثة مثل "عشتار– اللات– مناه***". أن الفرضية التي ترى أن النظام الأولي للعائلة نظاماً أبوياً قد فندتها الدراسات الانثروبولوجية والتاريخية الحديثة من خلال استبصار مكانة قيم الأنوثة والأمومة في العالم القديم بل أنّ هذه الدراسات تقول: أن النظام الأولي للعائلة كان نظاماً اومومياً، وهذا لا يعتبر ظاهرة الانتساب إلى الأم عيباً وعلى أساسه ترتبت علاقات وحقوق ومفاهيم أخرى كالإرث(العلي ، ١٩٧٧ ، ص ٢٩).

وتعدّ دراسة العلامة " ياكوب باخوفن" بـ "حقّ الأمّ " التي نشرت عام ١٨٦١أول دراسة أثبتت أنّ البشرية عاشت المجتمع الاومومي قبل أن يحصل الانقلاب ألذكوري وتفيد الدراسات اللاحقة في هذا المجال أن المجتمعات الاوموميّة كانت الأرقى سياسياً واجتماعياً وجمالياً أمام المجتمعات الأبويّة ،فكانت الأعنف والأكثر طبقية ،وبشكل عامّ أكثر ما يميز المجتمعات الاوموميّة، هو الاهتمام بالقيم الجمالية والإنسانية بينما تبرز مفاهيم السلطة والسيادة في المجتمعات الأبوية. وتظهر المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المرأة من حيث مشاركتها للرجل في أشدّ أيام المحن، وفي الحروب وجميع ظروف الحياة التي كانت تمّر بالمجتمعات آنذاك ، ومن جهة أخرى تظهر مكانة المرأة واحترامها من خلال النصوص التاريخية من أمثال: نصوص عقود الزواج فالحضارات القديمة التي نقشت على جدران المعابد وسير العائلات الملكية المليئة بأخبار الملكات اللواتي حكمن الدول والإمبراطوريات آنذاك (ريد فيلد ، ١٩٧٦، ص ٢٩).

ورأى" شتراوس" إن مفهوم "الأمومة" : قد يكون له الدور الأكبر في ارتقاء المرأة بصورة إلى الحد الذي يصعب تصوره اليوم في مجتمعاتنا بعد إن تجردت فيها قيم الذكورية ،بل إن مجرد تخيل هذا الكشف التاريخي تعظم مكانة المرأة في المجتمع الانساني قد يعد ضرباً من ضروب الجنون من ناحية أخرى .ونرى أنّ المرأة لابدّ من أن تظهر أو تكون أحدى المحاور الرئيسة في كلّ أسطورة إن لم تكن المحور الأول فتظهر كآلهة سامية خارقة الذكاء والجمال وفي منتهى الجمال والقداسة والشجاعة بالإضافة إلى تمتعها بالقوى الخارقة . والمطلع على أساطير الشعوب يجد المرأة في اغلبها محافظة على القيم السامية كالإخلاص والوفاء لشعبها وعائلتها(شتراوس ، ١٩٨٦، ص ٢٦). فقد يمتدح شعب من الشعوب أو شخص ما بإسم " أمه أو أخته" لأنها شرفت قومها وأخلصت له أو لأجل شرفها وعقلها ومكانتها حتّى أنّ الكثير من حالات العرب وشعرائهم يكنون بأسماء أمهاتهم ، فمثلاً في المعروف بن المناذرة نسبوا المنذرين امرئ القيس إلى أمهم (ماء السماء*) . وعمر بن المنذر كان يقال له: (عمر ابن هند*).

وهكذا، فأن مسيرة المرأة عبر التاريخ نراها قد حّققت أشواطاً واسعة في كل مجالات الحياة، ومساندتها للرجل في المواقف كافّة ، وكانت لها الحقوق الكاملة والمساوية للرجل. ولولا أهمية وجودها في حياة الرجل لما استحقت كل هذا الاهتمام والرعاية والمكانة التي كانت فيها عبر التاريخ.

ثانيا / دور ومكانة المرأة في التأريخ القديم " قراءة اجتماعية".

إن الحديث عن المرأة في المنظور تاريخي ودورها ومكانتها في المجتمع بوصفها وجوداً اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وفكرياً، وقانونياً في أيّ مجتمع بشري وعلى مرّ العصور يمثل بالضرورة حاجة مستمرة للأخذ بها واستعراضها بشكل علمي دقيق ،لذا من المناسب ،هنا، استعراض مكانتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على مرّ العصور وكما يأتي:

في العصور الأولى (القديمة) : إن الأنثى بالطبيعة " أصل الحياة " بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجديدة ، فعدت أكثر قدرة من الرجل وبالتالي أعلى قيمة منه فسادت فكرة أنّ " الآلهة أنثى " ، وأنّها آلهة " الإخصاب والولادة والخضرة والخير" وكلّ شيء. وقد اتسّم تاريخ المرأة منذ الخليقة بالتشكيك والاتهام عندما حملت أمُنّا " حواء " مسؤولية ما وقع من غواية

للاثنين " آدم وحواء" رغم براءتها التامة من كل ذنب حيث خلق الله تعالى " الذكر والأنثى " ليجعلهما الشريكين وتتشكل بهما صورة الحياة وبداية التفاعل الإنساني إذ قال تعالى: ﴿ يا آدم أَسْكُنْ أنتَ وَزوَجْكَ الجنة وكُلا مِنْهَا رَغَدَاً حيث شئتما﴾ (سورة البقرة ، آية ٣٥)، فأعطاهما الحق والحرية والمساواة الكاملة ، ونهى سبحانه تعالى الاثنين عن المعصية وهو قائل ﴿ يا آدم إنّ هذا عدو لكم ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾(سورة طه ، آية ١١٧) ، فكان الفرض الأول الذي صيغت منه العلاقة بينهما التكامل والتساوي والمؤانسة بالروح والنفس قبل الجسد. ومرة أخرى أعلن القرآن الكريم عدالته عندما ألهمهما " التوبة والاستغفار" فإرادة الله جعلت الخطيئة والذنب مقسمين على الاثنين قال تعالى: ﴿ فأزلّهما الشطيان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (سورة البقرة ، آية ٣٦) ، وبذلك امتدت لذريتها بعد ولادة حواء " الذكر والأنثى " .

إن ما أراده الله سبحانه وتعالى للأنثى عند بدء الخليقة ،هو" المكانة السامية " و " المساواة التامة " بين الحقوق والواجبات . فقد أجمع اغلب العلماء والباحثين على انه في المجتمعات الإنسانية البدائية للأنثى قيمة إنسانية واجتماعية وفلسفية ، فالأسر كلها كانت بالمجتمع البدائي اموميه " إلام هي المسؤول الأول عن تربية الأسرة " فهي العصب الذي ينسب إليها أطفالها فارتفعت مكانة المرأة الاجتماعية ارتفاعا كبيراً لم تصل إليها مكانة الرجل (عبد الدائم ، ١٩٧٥، ص ٢٢٧).

فضلاً عن ذلك ، قد أثبتت البحوث النظرية والتقنيات الاثارية التي يعتمدها علماء الآثار والإنسان ، من إن نواة المجتمع ما قبل التاريخ هي "الأنثى" وليس" الرجل" لتكامل إدراكها قبله ، وسبب ذلك يعود إلى تجارب الحمل والولادة وما يصاحبها من مشاعر داخلية ، واعتماد الأطفال عليها وشعورهم بالأمن والانتماء إلى الحماية التي تترأسها الأم ، فأصبحت مسؤولة عن حماية إفراد الأسرة، بينما الرجل هو أداة إخصاب فقط (السعداوي ، ١٩٩٠ ، ص ٤٧) . كل ذلك جعل المرأة تسبق الرجل بتكوين الحسّ الاجتماعي، أي: الشعور الإنساني الذي ولد غريزياً بالأنثى ثم تطور بالممارسة إلى خير وفكر وعاطفة ، فانتبهت بذلك الأنثى لمحيطها ومكوناته ، وهناك دراسات ورسوم عثر عليها في الكهوف تبين سيطرتها عند ولادة طفلها الأول وغلبتها على الحيوانات والدفاع عن أطفالها وغيرها ، إلا انه بالرغم من سيطرة الرجل بعد تكوين الأسرة بقيت المرأة لها أهميتها بالحياة الإنسانية فدورها مهم بعملية الإنجاب التكاثر ، ولا تزال بقايا المجتمعات الأمومية في بعض القبائل الإفريقية حتى اليوم كقبيلة (اديمبا) شرق إفريقيا وكذلك بأوغندا وداهومي (حسن ، ٢٠٠٢ ، ص ١١٣).

وفي بلاد الرافدين: فأنّ المرأة في العصر السومري فكانت حرة ولها القدرة الكاملة على ممارسة الحياة الاجتماعية ، فقد كانت تمتلك العبيد والإماء والمساحات من الأراضي وقد تعدت حريتها إلى ممارسة حقها في القانون حيث أعطوا لها الحق كشاهدة في المحاكم وفي معاملات البيع والشراء ولها الحق في الاعتراض على تلك المعاملات ، وعن وضع المرأة في سلالة أور الثالثة ، فلقد ثبت الملك أور نمو (٢١١٢_٢٠٠٤) ق.م .في شريعة حق الطلاق بما ما يعادل (٥٠٥ غم تقريبا) من الفضة وان للمطلقة حق برفض الرجوع إلى زوجها إذا ما هو ذلك. ولقد مارست المرأة في هذا العصر مهن عديدة كالغزل والنسيج والكتابة كما إنّة كان لبعضهن أختام خاصة تستعمل في معاملاتهن الخاصة (حنون ، ٢٠٠٢ ، ص ٨٦) .

اما في العصر البابلي : فهو يعبر عن التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي وصل إليه مجتمع وادي الرافدين فقد كانت هناك رغبة للحكام أخرى للحكام في تحقيق العدالة والمساواة في المجتمع ،فلقد نادى ملوك هذه المدة بالحرية وإزالة العبودية عن النساء والرجال نذكر منهم أعظم مثال المشرع حمو رابي. وتدل لنا الوثائق البابلية على إن المرأة كان لها الحق في القيام بمعاملات البيع ،والشراء وأعطى للزوجة حقوقاً حيث تستطيع الزوجة إنّ تشترط على زوجها في عقد الزواج عدم تسليمها دائنيه عن ديون التزم بها قبل الزواج ، ولم يفرق حمورابي في قوانينه التي سنّها عام ١٧٥٠ ق . م بين المرأة والرجل على الإطلاق وعالجت شرائعه أموراً عائلية ، فكانت المرأة القديمة تعرف قيمة نفسها كإنسان لها عقل

وذكاء ، فساهمت في الحضارة وشاركت في الحروب واشتركت بتأسيس الإمبراطوريات ، وكانت سيدة داخل بيتها وخارجه(حنون ، ٢٠٠٣ ، ص ١١).

ان الملكة العراقية الشهيرة " سمير أميس " : فهي امرأة أشورية، وكانت ابنة إلهة السمك " أنارجاينس " فعند زواجها من قائد الجيش " متوتيس " ، وحاكم نينوى سرعان ما رجحت كفتها ، وتحكمت فيه بعقلها وحكمتها، لم يسعه إلا إنّ يحترم إرادتها ويأخذ بنصيحتها وتزوجها الملك بعد موت زوجها ، فقضيت معه سنوات عديدة ، وكانت خير من يعتمد عليه الملك في طلب النصح ، ولهذا أوصى لها من بعده ، فخلفته الملكة بعد قضاء نحبه وخلفته على العرش فأحدثت تغييراً شاملاً عظيماً في البلاد وشيدت مدينة بابل العظيمة التي طبقت شهرتها الأفاق ، واشتهرت بأنها كانت شديدة الحزم والحكمة وأصالة الرأي بحيث تضع الأمور بمواضعها الصحيحة وبينت دهائها في الحرب على الهند وحيلتها التي عكست جبروتها وقوتها واعتدادها بنفسها ، وقد ظلت تحكم البلاد مدة اثنين وأربعين عاماً، فهذه الملكة كانت ذات سطوة عسكرية ونزعة ميالة إلى البطش، وأثبتت بصورة قاطعة قوة الشخصية للملكة الأشورية ، وقد تغنى بها الإغريق فخلدتها الأساطير لأنوثتها الصارخة وجبروتها الكبير (كونتينو ، ١٩٧٩ ، ص ص ١٩-٢١).

أمّا "زنوبيا " فقد تولت الحكم بعد وفاة زوجها، وصارت وصية على ابنها "وهب اللات" ومن ثم أصبحت ملكة تدمر كانت تحكم بالعقل والروية فيما تصدر من أحكام دون أنْ يكون لعواطفها الشخصية تأثير عليها. أمّا غير الأحكام، فكانت شديدة العطف على رعاياها لا تفرق بين أمير وصعلوك، وهي امرأة مثقفة وقد نال العلماء والأدباء والفنانون نصيباً وافراً من سخائها فازدهرت العلوم والفنون والآداب في عصرها. وقال عنها الإمبراطور "اورليان" عندما هزمته بمعركته الأولى " إنّ الذين يتحدثون باستخفاف عن الحرب التي خضتها ضد امرأة يجهلون طبيعة زنوبيا وقوتها وشّدة مراسها، فهذه المكلة العظيمة وقعت أسيرة دون أن تخضع لأحد. ويظهر في هذا العصر إنّ المرأة كانت تمارس إلى جانب الإعمال المنزلية عدداً من المهن كغزل الصوف وطحن الحبوب ومساعدة الرجل في الحقل ،ولقد اشتهرت الكثير من النساء في (لكش) من خلال إشرافهن على إدارة وتصريف الأمور التجارية الواسعة وعلى جميع الضرائب وشراء البيع وقد تمتعن البعض بمراكز دينية تضاهي مراكز أزواجهن إذ كن يحتسبن بمثابة آلهات على الأرض . إما المرأة في العصر الأكدى فقد تمتعت المرأة فيه بمراكز دينية رفيعة، وقد شاركت أخوتها في امتلاك الأرض(عقراوي ، ١٩٧٩ ، ص ١٧-١٨) .

اما الحضارة المصرية القديمة : شغلت المرأة مكانة في مصر القديمة لم تصل إليها المرأة في المجتمع المعاصر وان اختلفت هذه المكانة من عصر الى أخر، كما ان الملكات المصريات بصفة خاصة كان لهن أهمية منذ بدء نشوء الأسر حيث دلت بعض أثار الأسرة الأولى (٣١٠٠-٢٦٨٦ ق.م) ان معظم ملوكها قد لجأوا بالتقرب الى معبوداتها ولا سيما الآلهة "نيت "التي جاء اسمها في أسماء ثلاث ملكات من الأسر الأولى فأولهن هي الملكة الشرعية "نيت حيت" التي هي زوجة الفرعون " نعرمر" وام الفرعون "عما" (Emerym,1967,p49) . إما الملكة الثانية "جرنيت "هي زوجة الفرعون الثاني في الأسرة الأولى "جر" والثانية "مرني نيت" (مهران ، ١٩٨٢ ، ص ٢٦٢).

وفي العصر الفرعوني : وضعت المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وتتمتع بنفس الحقوق وخضعت لذات الالتزامات. وقد تقلدت المرأة المصرية أمور الحكم والسياسة بمصر ولا سيما في عصر الأسرة الثامنة عشرة " ١٥٤٠-١٢٩٥ق.م " فالملكة "حتشبسوت" "١٤٩٠-١٤٦٨ق.م" لها دور ومكانة تأريخيه ،وكانت مثالاً للحاكمة النموذجية في السياسة الداخلية والخارجية (البيومي ١٩٦٦ ، ص ٦٧) . وقد كانت الزوجة الفرعونية ترسم على جدران المقابر كدليل على المساواة في الشرف والمهنة والحقوق والواجبات ووجدنا ذلك في الأسرة الثامنة عشر في عهد "امنحوتب الرابع "١٣٦٧ -١٣٥٠ت. م " عندما قطع صلته بالإله " أمون " وغير اسمه الى "اختانونا" فأن اسم الملكة ايضاً قد تغير وصار " نفر- نفرو- اتون "نفرتيي " الاسم يشير الى اعتناقها لديانة " الاله اتون" (محمد علي ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٦).

والعصر الإغريقي (اليوناني) : ففي " إسبارطة" تمتعت المرأة الإسبارطية بقصد كبير من الحرية إذ سمح لها بالاشتراك مع الرجل في السباقات الرياضية والاختلاط مع الرجال ومشاهدتهم عند تأديتهم التمارين الرياضية المختلفة . ونتيجة لهذه المشاركة اتسمت المرأة الإسبارطية بالشجاعة ،وقيل أنهن كن من العوامل التي ساعدت على غلبة الاسبارطيين في الحروب. وذلك بتشجيعهن للرجال ،لذا حظيت باحترامهم وتقديرهم ولم تكلف بالأعمال المتاحة للعبيد ،وإنما اقتصرت مهمتها على تربية أولادها وإعدادهم منذ الصغر للدفاع عن بلادهم والتضحية في سبيلها (الأبراشي ، ١٩٥١، ص ٤٨). وتربية البنات في إسبارطة تشبه تربية الأولاد إلاّ أنهن لا يقمن بالمعسكرات والثكنات العامة ، بل كن يعشن مع أمهاتهن في المنازل ويتلقين تدريباً على الألعاب المختلفة في ملاعب خاصّة بهن .ويشاركن على المباريات التي تتسم بالسرعة والقوة كالمصارعة والجري والسباحة ورمي القرص والرمح إضافة إلى تعليمهن أنواعا من الرقصات الدينية (سليمان ، ١٩٧٢ ، ص ٨٧).

إما في " أثينا " فقد كان نصيب المرأة من التربية معدوماً إذ اقتصد تعليمها على القيام بالواجبات الاعتيادية التي ينبغي إن تقوم بها كل ربة بيت كإعمال الغزل والحياكة والاهتمام بالمظهر والجمال ،ولم يكن يسمح لها بالخروج من بيتها إلا في بعض المناسبات الدينية كالحضور إلى المسرح لمشاهدة التراجيدية ،ولم تتاح لها اللقاء بالرجل أو الاختلاط معه لدرجة إن زواجها يقرره والدها في أغلب الأحيان ،ويبقى الخروج من البيت محظوراً على الفتاة بعد زواجها . والنساء الحرائر قلما يخرجن إلا بأذن الزوج وبحراسة عَبْدْ . ولكن بعد فترة اهتمت "أثينا" بالمرأة وبدأت بالموازنة والتناسق فاهتمت بالنواحي العضلية والخلقية عكس ما كانت عليه "إسبارطة "توكد على النواحي الجسدية ،ولذا اعتبرت بعد ذلك "أثينا " نتيجة لهذا التغيير منبعاً للعلم والمعرفة (سليمان ، ١٩٧٢ ، ص ص ٨٨-٨٩).

وقد فسر أفلاطون في كتابه "المادية" سر تكوين المرأة إذ يرى إن طبيعة الإنسان الأصلية لم تكن عما هي عليه ألآن بل مختلفة ،وقد ذكر بأساطير الأولين إنّ المرأة قد بسطت حكمها على الأرض ، وكانت مقاتلة لا ترجع إلى البيت إلا لكي تلد وتخرج بعد الولادة لممارسة عملها في الدولة ويطلق على النساء المقاتلات اسم " الامازونات " وفي كتابة "الجمهورية الأفلاطونية "وضح مكانه المرأة بمدينته الفاضلة أهميتها في المجتمع ، لوجود تهذيب النساء وتدريبهن كالرجال ويصبحن الحكام والمساعدين ويشاركن الرجال بواجباتهم (الأبراشي ، ١٩٥١ ، ص ٥١).

إما في العصر الروماني : خضعت المرأة لنظام الوصايا الدائمة بالقانون الروماني ولم تكن تتمتع بحقوق سياسية حتى جاء الإمبراطور (تيودور) وألغى نظام الوصايا ،وهذا لا يعني إنّ المرأة كانت بعيدة عن الإحداث السياسية وشغل نفسها بما يدور ببلادها من أحداث ، وكانت المرأة الرومانية مقيدة الحرية وعُدّتْ جزء من ملكية الرجل ،ولكن المرأة الرومانية القديمة نالت قسطاً وافراً من الحرية في مجال العمل فقد كانت تعمل في التجارة ويبقى الرجال في البيوت وبالمقارنة مع المرأة الأشورية لم تنل حظاً من ذلك الذي نالته المصرية (سليمان ، ١٩٧٢ ، ص ١١٠).

ثالثا / عرب قبل الإسلام (عصر الجاهلية) :

أن كلمة "الجاهلية " لا تعني "الجهل" الذي هو نقيض العلم بل هو "السفه والغضب والأنفة" (الصحاح ،بدون سنة طبع ، ص ٩١). والمرأة " ليس بالمخلوق الضعيف " إنما مثلت عرض الرجل وشرفه لذلك فقد حافظ عليها وأن الرجل والمرأة كانا جميعاً على حد سواء يتجاذبان الرأي ويتآزران في نوائب الحياة كما إنّ المرأة كان لها مطلق الحرية في اختيار زوجها وتتعلم من أمور الحياة وقضاياه ما يتعلمه الرجل . وتباينت الآراء حول حالة المرأة ففريق يرفع منزلتها في نظر عرب الجاهلية، وفريق ينكر ذلك ويظهرها بمظهر الممتهن المسلوب الحق .لكن الباحثين اتفقوا على أن المرأة العربية قبل الإسلام حظيت بمكانة عالية وكان ذلك في بعض القبائل بينما في بقية شبه الجزيرة العربية كانت المرأة تابعة للرجل وتخضع لسلطته وانتشرت آنذاك عادة "وأد البنات" (عبد الدائم ، ١٩٧٥ ، ص ١٨١).

امّا ملكة سبأ لم تكن قوة تلك المرأة أقلّ من السلاطين الآخرين لكنها كانت أعقل من سائر الرجال ...وحين وصل كتاب من سليمان (عليه السلام) إلى هذه المرأة وكانت تحكم في اليمن حيث جاء هذا في القران الكريم على لسان "الهدهد" بصورة سلطنة ملكة اليمن قالت تلك المرأة: أنا أختبره ، لأرى هل أن هدفه هو حكومات دنيوية أم انه قطع طريق الأنبياء :اختبرته أولا بالمسائل المالية، فأرسلت الهدايا ،ورفض سليمان(عليه السلام) الهدايا ،وأجاب جواباً، فهمت تلك المرأة منه إن نظام سليمان ليس نظاماً مالياً ، وليس نظاماً يمكن إرضاءه بإعطاء السلطة والصلاحية ومصالح البلد (عقراوي ، ١٩٧٩ ، ص ١٠١). ولما جاءت تلك المرأة أمر سليمان أن يغيروا عرش ملكة سبأ تغييراً قليلاً حتى يختبر ذكاءها وانتباهها فقالت : " كأنه هو" ولم تقل انه هو. يتضّح إنّ هذه المرأة التي كانت تحكم في اليمن أعقل بكثير من الحكام الرجال ، فكانت تعرف إنّ الشجاعة هي في التسليم للحق ، وحفظت كثيراً من الدماء لذا يذكرها القران بعظمه، وكان من بين نساء العرب في الجاهلية من اشتهرت بإصابة الرأي ورجاحة العقل مثل "هند "امرأة "أبي سفيان "والسيدة خديجة بنت خويلد ".والمرأة في الجاهلية تمتاز بقوة الشخصية وحرية التصرف، فكانت تطمع لكثير من مزايا الرجال في العصر الجاهلي (عقراوي ، ١٩٧٩ ص ١٠٢).

أن مكانة المرأة كانت دون مكانة الرجل ، فالرجل هو أساس المجتمع ولكن هناك حالة فردية رواها القرآن الكريم في " سورة النمل" عن امرأة ذات نفوذ سياسي وهي بلقيس " إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم " (سورة النمل ، آية ٢٣). ويقول عمر بن الخطاب(رضي الله عنه): " والله كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً حتى انزل الله فيهن ما انزل " ، وكذلك خديجة (رض) وسمية آل ياسر (رض) كانت لديهما الشهامة وقبلتا بالدين الحّق ، وذلك يتطلب نبوغاً فكرياً وشجاعة كبيرة وقراراً جريئاً (حنون ، ٢٠٠٢ ، ص ٨٩).

يتضح مما تقدم في النظرة التاريخية البسيطة أن المرأة تأثرت كثيراً في ما نسب إليها بالعوامل الاجتماعية والثقافية ، فقد كان لها دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية ، وكان لها في التاريخ القديم حقوقاً وواجبات ومشاركات في جميع مجالات الحياة القديمة.

الخاتمة :

لا يمكن إنكار أهمية المرأة في المجتمعات البشرية القديمة منها وعصر الجاهلية الى عصر الاسلام ، والحديثة ايضا منها ، أياً كانت وأينما تواجدت ليس كنصف المجتمع ، بل شريك حقيقي مساهم في بناء وأغناء التجربة الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على مر العصور والادبان والاعراف والقوانين والمواثيق الدولية الحديثة . كما أنّ وجود المرأة يشكل تحدياً تاريخيا نمى وتطور في ظل التجربة الإنسانية وظهور الدولة والصناعة وانتشار الثقافة ، وقد حمل هذا التحدي صور متناقضة بالغة المعاني تم الإشارة إلى بعض منها في تأريخنا لا سيما القديم ، وقد تراوحت هذه الصور بين تقديس المرأة وعلو مكونات ثقافتها الاجتماعية والتاريخية و الانسانية ، وبين صورتها كسبية تُباع وتشترى في أسواق النخاسة، وبّين سطوتها كملكة وكقائدة للمجتمع ، أو إرغامها على العمل الشاقّ في الحقل ، أو مشاركتها في الحروب ، أو التجارة ، أو حبسها بين جدران القيم والتقاليد المتزمتة ، أو جدران البيت ، أو مصادرة حقوقها أو حرياتها الأساسية . أن الأهمية الأساسية لهذا الموضوع تكمن في محاولة دراسة موضوع المرأة وابراز دورها ومكانتها في المجتمع القديم آنذاك ، الذي يقينا هو امتداد للتأريخ المعاصر من حيث تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في شخصيتها ومدى اتساق ذلك مع مسيرتها في حياتها العامة سواء أكان ذلك على صعيد الأسرة ، أم على صعيد المجتمع الذي تعيش فيه.

الهوامش والمصادر

- القرآن الكريم .

* فالأساطير هي شكل من إشكال الأدب الشعبي الذي ابتكرته الحضارات على مرّ العصور وان اختلف نسجها أو نسقها تبعاً لخصوصية الحضارية الناشئة فيها إلا أنها جمعياً تحمل رسالة طوباوية

* * زنوبيا(٢٦٧-٢٧٣م) : بعد مقتل زوجها "اذينه" ملك تدمر من قبل بن اخيه "معنيوس" خلف ولده "وهب اللات "وكان صغيراً فتولت زنيوبيا الوصاية على ولدها وصارت تعد من الشخصيات الهامة في تاريخ الشرق الادنى القديم .صالح احمد العلي :محاضرات في تاريخ العرب ،الدولة العربية قبل الاسلام ،ص٤٨.

(١) الساعاتي ، سامية حسن (الدكتوره) ، المرأة والمجتمع المعاصر ، الدار المصرية والسعودية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٣٣ .

(٢) النوره جي ، احمد خورشيد ، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، دار الشوؤن الثقافية للنشر ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٣ .

(٣ Dunca , Q . mitchell,A dictionary 0f Sociology , London , Rutledde and kegan pal , 1973 . p , 148.

** * عشتار: الهة الحب والجمال عبده الاكديين البابليين وعرفت عند القوام الجنوبية "عشتار" طه باقر واخرون :تاريخ العراق ،مطبعة جامعة بغداد ،١٩٨٠،ص١٤٢.

- مناه: من الهة العرب وكانت صنما لقبيلة هذيل وخزاعه وكان مكانة بين مكة والمدينة ومن الاصنام الخمسة التي جاء بها عمر بن لحي .للمزيد بن الكلبي ،ابو المنذر هشام بن محمد بن السائد ((ت٢٠٨هـ/٨٢٣م)).الاصنام ،تحقيق احمد زكي باشا، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٢٨، ص٢٧.

- اللات: ذكر هيرودوتس ان العرب كانو يعبدون اللات وهو تمثال الزهرة وهو ما ايده ديسو وتابعه ريكمانز وستاركي مقدمين فرضياتهم التي تزعم هذا الرأي للمزيد ينظر رينه ديسو: العرب في سوريا قبل الاسلام ، ترجمة : عبد الحميد الداوخلي، القاهرة ١٩٥٩،ص١١٥.

(٤) العلي ، صالح احمد (الدكتور) ، محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٧ ص ٢٩ .

(٥) ريد فيلد ،روبرت، المجتمع القروي ، ترجمة د: فاروق محمد ، مطابع الهيئة المصرية ،القاهرة ، ١٩٧٦، ص١٦.

(٦) شتراوس ،كلود ليفي، الأسطورة والمعنى، ترجمة د. شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية ،بغداد ،١٩٨٦،ص٢٦.

* ماء السماء :ماريه بنت عوف بن ميثم بن هلال بن ربيعة ،وقد سميت بماء السماء لحسنها وجمالها.

* هند: ابنة الحارث بن عمر بن حجر أكل المراد الكندي ،الطبري-ج٢،ص١٠٤.

(٧) عبد الدائم، عبد الله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٥، ص ٣١٠ .

(٨) السعدواي ، نوال ،دراسات عن المرأة في المجتمع العربي ،المؤسسة العربية للنشر، بيروت،١٩٩٠،ص٤٧.

(٩) حنون ، نائل ،عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ،المؤسسة العربية للنشر،بيروت،٢٠٠٢،ص٨٦.

(١٠) حنون، نائل .،شريعة حمورابي، منشورات بيت الحكمة ،بغداد،٢٠٠٣،ص١١.

(١١) كونتينو، جورج ،ا لحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة سليم طه آخرون، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ١٩٧٩، ص١٩.

(١٢) عقراوي، ثلماستيان، المرأة في وادي الرافدين، منشورات وزارت الثقافة ،بغداد،١٩٧٩،ص١٧.

(٤ EmerymW,B.,Archaic Egypt,London,1967,P.49.

(١٤) البيومي، احمد، الفراعنة عبر التاريخ، دار المعارف للنشر الإسكندرية،١٩٦٦،ص٦٧.

(١٥) محمد علي، سعد الله: الدور السياسي للملكات في مصر القديمة ،مركز الإسكندرية ٢٠٠٣م،ص١٠٦.

(١٦) الإبراشي، محمد عطية، التربية والتعليم في اليونان، دار إحياء الكتب،القاهرة،١٩٥١،ص٤٨.

(١٧) سليمان ، فتحية حسن، تاريخ المجتمعين اليوناني والروماني ،دار العلوم للنشر، القاهرة ،١٩٧٢،ص٨٧.

(١٨) الصحاح ، مختار، مصدر سابق، ص٩١.